

الواقع والتمثيل في القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة

"من يشتري التراب لأمنة بن منصور نموذجاً"

Reality and Imagination in the Contemporary Algerian Short Story "Who Buys Dirt" by Amna Ben Mansour as an example

فتيحة الزين

مخبر الخطاب التواصلية الجزائري الحديث،
جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت (الجزائر)
fatiha.ezzine@univ-temouchent.edu.dz

سارة هونت*

مخبر الخطاب التواصلية الجزائري الحديث،
جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت (الجزائر)
Sarah.hounet@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ القبول: 2024/07/28

تاريخ الاستلام: 2024/03/04

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن جماليات التخييل في القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة، من خلال دراسة وتحليل مجموعة "من يشتري التراب" لأمنة بن منصور، وكذا الوقوف عند عنصرين سرديين مهمين من عناصر بنيتها السردية، وهما عنصري الشخصية والفضاء بنوعيه المكاني والزمني، كما أن هذه الدراسة قد حاولت تبيان أهم التقنيات التي إستعملتها الكاتبة داخل القصص، والتي جعلت القارئ يسحر ويخرج بخياله من عالم الواقع إلى عالم القصص، ليتصور ملامح الشخصيات ويتابع تفاصيل حياتهم التي عاشوها بأمكنثها وأزمنتها، دون أن يحاول تغيير مجرى الأحداث.

الكلمات المفتاحية: أمنة بن منصور؛ التخييل؛ القصة القصيرة؛ السرد؛ الواقع.

Abstract:

This study aims to attempt to reveal the aesthetics of imagination in the contemporary Algerian short story through studying and analyzing the collection "Who Buys the Earth" by Amina Ben Mansour, as well as stopping at two important narrative elements of its narrative structure, which are the elements of character and space in its spatial and temporal types. This study also attempted to clarify the most important techniques used by the writer in the stories, which made the reader enchanted and take his imagination out of the world of reality to the world of stories to imagine the features of the characters and follow the details of their lives that they lived in their places and times without trying to change the course of events.

Keywords: Amna Ben Mansour; short story; imagination; Narrative; reality.

1. مقدمة:

شهدت الساحة الأدبية الحديثة والمعاصرة إنفتاحاً كبيراً على تجارب إبداعية جديدة أدت إلى ظهور أجناس أدبية متنوعة تتشابه من خلال بعض الخصائص وتختلف من حيث المفهوم، ومن بين هذه الأجناس الأدبية الحديثة نجد فن القصة القصيرة، والتي أصبح لها حضوراً بارزاً في الأدب العربي عامة والأدب الجزائري خاصة، لأنها تتميز بالثقل اللغوي والإقتصاد الدلالي وتوظيفها للمفارقات والأساطير، كما أنها تعتمد على المزج بين الواقع والخيال داخل بنيتها السردية.

تروم هذه الدراسة إلى مقارنة جماليات إمتزاج الخيال بالواقع في البنية السردية لمجموعة "من يشتري التراب" لأمنة بن منصور، وكذا الوقوف عند محتوى كل قصة من قصصها، والتي كانت عبارة عن رسائل مشفرة هدفها هو نقل واقع المجتمعات العربية بطريقة طريفة مثيرة للسخرية.

2. تقديم المجموعة القصصية:

من يشتري التراب للكاتبة آمنة بن منصور هو عنوان المجموعة القصصية المختارة مدونة لهذه الدراسة صدرت هذه المجموعة سنة 2022م عن دار تشكيل للنشر والتوزيع بالرياض، وهي تتكون من ثلاثة عشر قصة عناوينها كالآتي تمانينا، ليلاه، المدينة الفاضلة، بيع بالإهداء عاجل جداً، السجادة الحمراء، أصالة عن السيد عنعنة، سوف نلتقط صورة، تفاحة آدم، من يشتري التراب، النهايات متشابهة، أجمل ابتسامة، ثاني أوكسيد كورونا.

أما حقولها الدلالية البارزة والمسيطر على معظم التجارب القصصية الموجودة في قصص المجموعة فقد تراوحت بين محنة الكاتب المبتدئ وقصص الحب الوهمية والإحتيال في الفضاء الأزرق وظاهرة التحول والعقوق والحنين إلى الوطن، اللجوء، إستغلال الأطفال، عقدة آدم وحواء، كورونا وغيرها¹، لا يتعدى عدد صفحات كل قصة عشر صفحات، وقد كتبت بلغة سلسلة سهل التناول، إتخذت فيها الكاتبة من السخرية أسلوباً في معالجة بعض المواضيع وجعلت منها فناً تقترب فيه من قضايا المجتمعات العربية المعاشة..

تعلن نصوص المدونة في واجهة غلافها إنتسابها إلى عالم القصة القصيرة إلى ذلك الجنس الأدبي النثري الفريد من نوعه، والذي يلتحم فيه العقل بالوجدان، من خلال معالجة واقع الحياة وما يجري فيها من أحداث تحتفي بمشاكل المجتمعات العربية وتلامس حياة الناس البسيطة وترصد تفاصيلهم الدقيقة وتشخص معاناتهم وخيبة آمالهم وتبرز مواطن الخلل في نمط معيشتهم وتربيتهم وأخلاقهم، وكيف أن لنسيان الأعراف والعادات والتقاليد تأثيراً سلبياً على حياتهم.

3. تعريف التّخيل:

إرتبط مصطلح التّخيل في العصر القديم بالشّعور بإعتباره من أكثر الأجناس الأدبية بروزاً في ذلك العصر، ويعود الفضل في ظهوره في الأدب بصفة عامة والكتابة الشعريّة بصفة خاصّة إلى الفلسفة اليونانية مع أفلاطون، الذي أهمل الحديث عن التّخيل الشعري، لأن الخيال بالنسبة إليه هو قوة لاعقلانية تحتل مكاناً دينياً

في ملكات الإدراك الفني، أما تلميذه أرسطو فقد عبر عن الخيال بمفهومين هما المحاكاة في كتابه "فن الشعر" والفانطاسيا في كتابه "في النفس"، وإعتبر بأن الخيال هو جزء من القول الشعري، غير أنه رفض فكرة تحريره بشكل كلي ومطلق من صرامة العقل، بل إنه أكد على لاجدوانية الخيال إن لم يشتغل تحت إمارة العقل ووصايته.²

تأثر الفلاسفة المسلمون (الفارابي وابن سينا وابن رشد) بالمحاكاة الأرسطية، وجعلوا من الشعر أداة للتمثيل والتصوير والتشبيه، حيث ربطوا التخيل بالشعر من خلال وسائله الثلاثة الوزن واللحن الخاص بالإيقاع الشعري واللغة الشعرية الخاصة بالجانب البلاغي (تشبيه، إستعارة، كناية)، والمصطلحات والمعاجم الخاصة بالجانب الدلالي، والتركيب النحوي والصرفي الخاص بالجانب التركيبي، وكل ذلك أطلقوا عليه بما يعرف بمصطلح المخيّلات.³

تجاوز المتصوفة مع الغزالي وابن عربي النزعات الفلسفية التي أعلنت من شأن العقل وجعلت منه وسيلة وحيدة للمعرفة، وإعتمدوا على القلب والعقل معا في رهاقهم الجديد الذي ينظر إلى الشعر على أنه وسيلة معرفية وحلقة برزخية تتوحد فيها الحقائق النورانية، ويهتم فيها بالحياة الوجدانية في حياتنا النفسية ودهاليزها المبهمة كحقيقة أخرى من حقائق الوجود، بإعتبار أن البعد الروحي هو السبيل لبلوغ المطلق بواسطة القوة التخيلية، كما أن الشاعر الحقيقي حسب رأيهم هو الذي يستطيع بالقوة التخيلية وحدها السفر في تخوم المعرفة، وهذا الإحترام والتقدير لطاقة الخيال، لن نجدده سوى في رحاب الشعر الصوفي الذي ينبع من الذات.⁴

من بين البلاغيين الذين تأثروا بالفلاسفة القدامى وأفردوا في كتبهم مباحث خاصة بالتخيل وتأثيره في الشعر، نجد ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر وعبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة وحازم القارطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حيث نظروا إلى التخيل على أنه مزيج مختلط بالوهم، يكون تأثيره مقتصر على فنون بلاغية معينة، ويقول حازم القارطاجني في ذلك "أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه أو نظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور يفعل لتخيّلها، وتصورها أو تصوّر شيئا أخرجها انفعالا من غير روية".⁵

يعد دوزورت وكوليردج من أبرز الرومانتيكيين الذين إهتموا بالخيال وأعلوا من شأنه ودوره في إختراع الصور الشعرية، فناظروا بين الطبيعة وحالاتهم النفسية، ونفروا من توظيف المناظر الطبيعية التي لاتشاركهم طبيعة مشاعرهم وأحزاهم، ويعود الفضل في إعطاءهم لهذه القيمة الكبيرة للخيال إلى تأثيرهم الكبير برأي الفيلسوف الألماني "كانت"، والذي أشاد فيه بقوة الخيال من خلال قوله "الخيال أجلّ قوى الإنسان، وأنه لاغنى لأية قوة أخرى من قوى الإنسان عن الخيال، وقلّ ما وعي الإنسان قدر الخيال خطره".⁶

شاع في العصر الحديث إستبدال مصطلح التخيل بمصطلح الخيال، ويعدّ البارودي رائد المدرسة الإحيائية هو أول من إعتمد على هذا الإبدال المصطلحي، ليأتي من بعده النقاد العرب المحدثين ويتبعوه في ذلك خلال رصدتهم لمفهوم الخيال:

يعرّف جابر عصفور الصورة الشعريّة في كتابه الصّورة الفنّيّة قائلا: "يشير إستخدامنا اللغوي المعاصر لكلمة "الخيال" على القدرة على تكوين صورة ذهنيّة لأشياء غابت عن متناول الحسّ، ولاتنحصر فاعليّة هذه القدرة في

مجّرد الإستعادة الآلية لمدرجات حسّية ترتبط بزمان أو بمكان بعينه ، بل تمتدّ فاعليتها إلى ماهو أبعد من ذلك ، فتعيد تشكيل المدرجات وتبني منها عالماً متميّزاً في جدّته وتركيبته، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة، تذيب التنافر والتباعد وتحقّق الإنسجام والوحدة⁷، وبهذا المفهوم يكون الخيال مجّرد وسيلة لإعادة إنتاج الواقع وخلق شخصيات جديدة ووصف أماكن وإبتكار أزمنة من مخيلته.

يرى محمد غنيمي هلال بأن الخيال هو "التفكير بالصور على حسب طرق فنية، تختلف من مذهب فنيّ لمذهب فنيّ آخر"⁸، ومنه فإنّه يربط الخيال بالصورة التي تختلف طرق إحداثها على حسب مرجعيات مذهبية، تحدّد سماتها وطرق عرضها.

قام جيارر جينيت بوضع علامات نصّية تؤكّد على حضور الخطاب التّخيلي داخل العمل السّرديّ، من بينها⁹:

1) تجنيس الكاتب لعمله الأدبي على غلافه الخارجي على أنّه (رواية، قصّة قصيرة).

2) استعمال الألفاظ الغريبة واللّغة الأسطورية التي لا يمكن للعقل تصديقها.

3) استعمال الإفتتاحيات التي شاع إستعمالها منذ القديم (كان بإمكان)، (زعموا أن).

ومنّه فإنّ الكاتب هو الذي يحدّد طبيعة الجنس الأدبي الذي يستعمله، ويكون مناسب لعرض أفكاره والتعبير عن واقعه المعاش وله كامل الحرّية في ذلك.

4. الرؤية السردية بين الواقع والخيال في مجموعة "من يشتري التراب" لأمنة بن منصور:

تعمّدت الكاتبة على أن تكون الأحداث التي ترويها داخل المجموعة القصصية هي عبارة عن مزيج مركب من الواقع والخيال، وهذا ما تؤكّده في مقدمة المجموعة قائلة "تصور قصص المجموعة المشاهد اليومية التي يعيشها المواطن العربي، وتحيلها بلغة رشيقة لمحة إلى مشاهد ولوحات كاريكاتيرية ساخرة من الواقع المعاش"¹⁰ فبالرغم من نقل الكاتبة لقصص مستوحاة من الواقع إلا أنّها إعتمدت على الترويع في رصد الأحداث، وهنا يبدأ الشك عند القارئ وذلك لعدم قدرته على التفريق بين الواقع المرجعي، والخيال الإفتراضي الذي تنتجه الكاتبة.

5. تخيل الشخصيات:

عرضت لنا الكاتبة شخصيات قصص "من يشتري التراب" بأسلوب يعتمد على رتاقة الألفاظ وجمال التصوير من خلال التشبيهات المتعدّدة التي إستعملتها، وفي وصفها لشخصيات مجموعتها من الناحية الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية، وهذا ما ساعد المتلقّي على أخذ صورة واضحة حول كل شخصيّة من هذه الشخصيات المشاركة في هذا العمل الأدبي، وجعلته يشعر وكأنّه يعيش الأحداث معهم داخل القصص، يتأمل ملاحظهم ويراقب سلوكياتهم المتغيّرة بتغيّر الزمن، وهذا ما نلاحظه في أكثر من موضع داخل قصص المجموعة.

عرضت لنا الساردة في قصة تهانينا هزاله جسم أحمد في نسق أدبي فيه دفء اللّغة وجمال التّخيل، ويظهر ذلك من خلال قولها "ودون أن يعي بدأ يضرب الهاتف بقبضة يده النحيلة ولم يتوقف إلا وجسمه يرتفع إلى

السماء، رمق الرجل بنظرة حائرة كان صاحب المحل ضخّم الجثة¹¹، وما نلمحه من خلال تحركات المعلم أحمد داخل الأحداث بأنه شخصيّة غيبية ساذجة كان يظن بأن الأخبار التي تظهر عبر الأنترنت هي أخبار صحيحة، وأنه يستطيع من خلالها الوصول إلى هدفه وكسب المال والزواج ومساعدة عائلته ماديا، إلا أن أحلامه ذهبت سدى لأن الوسائل التي إعتد عليها في الوصول إلى ذلك كانت وسائل غير مشروعة.

نجد في قصة ليلاه حنان المعلمة التي كانت في البداية كاتبة مبتدئة، ثم داع صيتها وأصبحت أديبة معروفة، ترفض الزواج بالرغم من إلحاح والدتها على ذلك، لأنها كانت فتاة جميلة متعجرفة كما وصفتها الساردة "تقف أمام المرأة لتصفف شعرها الذهبي، الذي انسدلت خصلات منه على وجهها ناصع البياض"¹²، وأيضا لأنها كانت ترغب في الزواج من رجل مثقف مثلها، وفي إحدى المرات وبينما كانت تطّلع على الأنترنت تعرّفت هناك على شاعر أسمى إسمه رائد، فأحبته بعد مراسلات طويلة بينهما، وإتفقت معه على تحديد يوم للقاء، وعندما جاء اليوم الموعد تأنفت وجهزت نفسها، ثم ذهبت إلى المكتبة للقاءه وفور رؤيتها له إنبهرت بجماله فقد "كان طويل القامة قمحي البشرة في وجهه وسامة لافته يرتدي طقما كلاسيكيا كما توقعته نظر إليها بنظارته السوداء"¹³، وعندما إقترب من الوصول إلى الطاولة التي كانت تجلس فيها عاد أدراجه وغادر، وبعدها قام بإرسال رسالة صادمة إليها يرفض فيها حبها.

أما في قصة المدينة الفاضلة فلم تقم الكاتبة بإعطاء وصف دقيق لملامح الشخصيات الخارجية، بل إكتفت بإظهار صفات المعلم أمين الداخلية وأخلاقه المتغيرة بتغيّر الزمن، ففي البداية كان أمين إنسانا نزيها يريد المصلحة العامة للشعب كله، حيث أسس مجموعة عدد أعضائها ثلاثة ملايين عضو، تكمن مهمتها الوقوف في وجه السلطة ومطالبتهم بتحقيق مطالب الشعب التي تضمن لهم العيش الكريم، وبعد أن وصلت رسالة من رئيس الجمهورية إلى مقر المجموعة مفاذاها إختيار عضو من بينهم يمثلهم وي طرح إنشغالهم، رفض الجميع الذهاب للقاء الرئيس وأعلنوا إنسحابهم من المجموعة، فقام أمين ببيع مبادئه مقابل مبلغ مالي وإمتيازات أخرى حصل عليها من قبل الرئيس، حيث أهداه رحلة إلى جزر المالديف وعند عودته سيكافئه بفيلا في عاصمة البلاد¹⁴، نظير ما قدمه من خدمات جليلة .

ويظهر التخيل أيضا من خلال الأوصاف التي قدمتها الساردة لملاح ماجد وطبيعة شخصيته في قصة بيع بالإهداء من خلال قولها "لا أبدو بشعا إلى تلك الدرجة التي يصرخن فيها كما لو رأين جنيا صحيح إني لست مهندهم ولكني نسخة من العنديل على رأي والدتي"¹⁵، وبالرغم من أن ماجد كان يبلغ الثلاثين من عمره وأنهى دراسته والتحق بشركة والده، إلا أنه كان شغوبا بالمطالعة، فقد ألف كتابا حول تعليم أصول الطبخ للمبتدئين غير أن كتابه لم يبع منه ولو حتى نسخة واحدة، لأن القراء كانوا يرونه كتابا تافها لا يستحق القراءة .

أما في قصة عاجل جدا فوصفت لنا الكاتبة نور الدين بأنه شاب في مقتبل العمر، كان فاسد يشرب الخمر ويلعب القمار، نشأ داخل أسرة فقيرة فوالده كان يعمل كمحاسب، وفي أحد الأيام تعرف على رفيق سوء مثله إسمه محسن، والذي غرس في رأسه فكرة أن التحول الجنسي يحقق الشهرة ويكسب المال، فطاعه وقام بسرقة

ذهب والدته وسافر إلى تايلاند وأجرى هناك العملية التي تحول بها من نور الدين الشاب إلى نور الفتاة التي وصفت داخل القصة بأنها "سيدة في نهاية العشرينات ترتدي معطفا شتويا يصل إلى تحت الركبة بقليل بينما تظهر فتحة فخذيها اللذين لا يسترهما شيء رغم برودة الجو، ثم نظرت في وجهها متفحصة فوجدت طبقات كثيفة من المكياج تكاد تخفي كل ملامحها عدا شفتيها المنفوختين وخذيها البارزين¹⁶، وبالرغم من أن هذا التحول قد ساعده على أن يصبح إنسانا ثريا إلا أن ذلك قد سبب له رفض والديه التواصل معه، لأن ما فعله كان محل بمبادئ المجتمع، وفي يوم من الأيام وبينما هو جالس يشاهد التلفاز وصله خبران فقد أعصابه بسببهما، أولهما خبر مغلوطة مفاده فقدان كل أمواله في البورصة، وثانيهما أن عمه قبل وفاته كتب وصية سجل فيها كل ثروته باسم عائلته، ولن يستطيع نور الدين الحصول على فلس واحد منها لأنه تحول إلى فتاة، وهذا ما أثار انفعاله، فإنتحر بمسدسه وتوفي في أرضه .

نجد في قصة السجادة الحمراء دينا الفتاة الفلسطينية التي عندما كانت طفلة نفيت عائلتها من فلسطين إلى بلد أجنبي بأمر من الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، وعندما كبرت ونضجت قررت الالتحاق بأحد المعامل الخاصة بتعليم الخياطة، وهناك تعرفت على شاب فأحبته وهربت من بيتها معه وحملت منه، ولكنه تركها وغدر بها، ثم تعرفت بعد ذلك على سيدة مرموقة مختصة في عالم الأزياء والموضة والتي أعجبت بجمالها وساعدتها على شق طريقها نحو عالم الموضة، وفي إحدى المرات عندما كانت تحضر إحدى الحفلات وكانت كعادتها في غاية الأناقة والجمال كما وصفتها الكاتبة حيث "كانت ترفل في ثوب طويل مكشوف الصدر والظهر... وتلبس كعبا عاليا من أشهر الماركات... قد رفعت شعرها فبدأ عنقها الطويل كإبريق فضة زينته بقلادة من الماس ثمنها يشتري أراضي كثيرة في فلسطين¹⁷..."، تعرضت للقتل .

أما في قصة سوف نلتقط صورة تمثل فاطمة البنت البسيطة التي فقدت والديها ومنزلها بسبب الحرب الأهلية التي كانت مندلعة داخل بلدها، ونقلت بعد ذلك إلى أحد الميتم الذي كانت تعيش فيه وكأنها متشردة، "بشبابها البالية وجسدها المتسخ وشعرها المجعد"، إلى غاية أن تبنتها إحدى السيدات الأجنبية وأخذتها معها إلى بيتها، لكن فرق المستوى المعيشي بين الميتم وبيت السيدة لم يتغير كثيرا، لأن السيدة قد تبنت فاطمة وطفلين صغيرين آخرين لكي تحقق من خلالهما الشهرة والثروة، عبر عملها كمؤثرة عبر مواقع السوشيل ميديا، فكانت تتظاهر بحبها لهم أثناء المقابلات الصحفية التي كانت تحضرها معهم في القنوات الإعلامية، وأما في الواقع فقد كانت تعاملهم معاملة سيئة.

تحدث قصة تفاحة آدم عن شخصية هيثم الساذجة التي تصدق كل ما يقال لها، فعندما كان صغيرا صدق مزحة والدته، حين أخبرته أن الغدة الدرقية أو الكرة كما وصفتها الكاتبة الموجودة في عنق والده هي عبارة عن تفاحة¹⁸، وصدق أيضا والده الذي أخبره بأن أصل كل المشاكل والفتن هو المرأة، بداية من أمنا حواء ووصولاً إلى والدته التي كانت سببا في ظهور هذه التفاحة في عنقه، وبعد أن كبر وصار في عمر مناسب للزواج تعرف على

فتاة إسمها ريهام وتقدم لخطبتها، وعندما جاء يوم عقد القران علم بأن إسم والدها هو آدم، فتذكر كل القصص التي كان يحكيها له والده وتركها، وقرر عدم الزواج نهائيا في حياته كلها.

نجد في قصة من يشتري التراب الرجل القرفصاء كما سمته المؤلفة شيخ في الستين من عمره قرر الهجرة إلى الخارج بعد أن فقد عائلته بسبب الحرب الأهلية التي كانت مندلعة داخل بلده، وفي إحدى المرات وبينما هو يجلس على حافة الرصيف وجده صحفيان وقررا إجراء مقابلة معه لأنه بدا لهما وكأنه شخصية غامضة، فقد كان يجلس على كرتون في زاوية من الشارع منفردا وقد أطرق برأسه إلى الأرض المبتلة، بعد ليلة ماطرة بدت ملابسه رثة ووجهه مصفرا وشاحبا من أثر الجوع والفقر¹⁹، أما شعره فكأنه قبضة من السحاب الذي غطى ذلك اليوم الكئيب، كان نحيف الوجه تكسوه لحية خفيفة مبعثرة، أما عيناه فكان لونهما مزيجا بين الزرقة والرمادي، الشيء الوحيد الذي لم يتضح لهما لون بشرته التي كساها الغبار والهلم، فاستحالت إلى لوحة باهتة كأنما فرت منها الدماء²⁰، وكان يضع كيسا بجانبه فيه بعض من تراب بلده الذي أحضره معه من وطنه عارضا إياه للبيع، لأنه لم يكن يملك أي شيئا آخر غيره لبيعه.

وفي قصة النهايات متشابهة تصور لنا القاصة شخصية حياة التي كانت تعيش هي وزوجها محمود وأمهم بتول بمنزل فقير بأحد القرى النائية، وفي إحدى المرات إشتريت حياة بطاقة يناصيب، وكان لها الحظ في الفوز وتغير حياتها تماما، حيث أصبحت امرأة غنية أناملها ناعمة وأظافرها مرتبة ونظيفة بعدما كانت خشنة وآثار الشقوق بادية عليها²¹، ولأن السيدة بتول أم محمود لم تستطع تعلم أصول الإتيكيت الخاص بالأغنياء، فإن هذا الأمر كان يزعج حياة كثيرا، ولهذا طلبت من محمود إيداع أمه بدار المسنين ومنعته من زيارتها حتى في المناسبات، لتجد في النهاية أن زوجة أخيها قامت برمي أمها هي أيضا في دار العجزة كما فعلت هي مع السيدة بتول.

أما قصة أجمل ابتسامة فتتحدث عن مازن دكتور تجميل الأسنان الذي كان يبلغ من العمر 35 سنة، كان يعيش مع والدته هداية، التي كانت تتمنى أن تراه متزوجا لكن مقاييس الجمال الخيالية التي وضعها لفتاة أحلامه، كان من الصعب عليه إيجادها في أي امرأة أخرى، وفي إحدى المرات دخلت فتاة فائقة الجمال إلى عيادته إسمها بشرى، والتي وصفت وصفا دقيقا داخل القصة، فقد كانت "قارعة الطول، مكتنزة الشفاه دقيقة الأنف، واسعة العينين، تصرخ الأنوثة من كل شبر من جسدها، فالمقدمة كالمؤخرة تهتز بلاموسيقى أو ألحان، فلما إفتر ثغرها عن ابتسامة أضاءت العيادة بنورها لم تكن بحاجة إلى تقويم أو تعديل، فالذي خلقها حباها بنصف الجمال بل كل الجمال"²²، وفور رؤية الدكتور مازن لها أحبها منذ الوهلة الأولى وقرر الزواج منها، ليكتشف في النهاية أن هذه الفتاة، كانت في السابق رجل إسمه بشير وتحول جنسيا ليصبح حبيبته بشرى، فذهل مازن ودخل في صدمة وأصيب بإكتئاب شديد.

وفي قصة ثاني أوكسيد الكورونا إعتمدت الكاتبة على التخيل الممزوج بالواقع، فأعطت لشخصيتها الرئيسية اسم طارق تيمنا بطارق بن زياد فاتح الأندلس²³، وأعطت لوالده إسم عبد الرحمان تيمنا بعبد الرحمان بن

رستم، فحاولت بذلك إستحضار أسماء شخصيات تاريخية واقعية، لكي تجعل من شخصيات قصتها وكأنهم أشخاص حقيقيون يعيشون في الواقع.

6. جماليات التخيل في المكان:

التخيل لم يمس فضاء القصص، أي أن الكاتبة هي التي أضفت على المكان صبغة روحية وأخرجته من ذلك المفهوم الضيق إلى حقل الخيال من خلال توظيفها للتعبيرات المجازية في وصفها للأماكن داخل المجموعة القصصية.

1.6. البيت:

يمثل البيت المكان المهيمن الذي إحتل المساحة الأكبر في الحكى، فهو فضاء للحدث وحركة الشخصيات، ومصدرا للأمان والسكينة والحماية وفقدانه يؤدي إلى الشعور بعدم الإستقرار، وهذا ما أكدت عليه الساردة في أكثر من موضع داخل قصص المجموعة.

ففي قصة تمانينا وصفت الكاتبة البيت بأنه مصدرا للتخلص من التعب فبعد قيام أحمد بمجموعة من المشاوير شعر بالإرهاق فغذ الخطى نحو بيته يريد الإستلقاء على سريره بعد يوم عصيب بين الكر والفر²⁴، ونفس الشيء تمثله قصة ليلاه التي تصف لنا عناء المعلمة حنان طوال اليوم في المدرسة مع الأطفال، فهي "تربهم وتعلمهم وفي نهاية اليوم تعود إلى منزلها متحشجة الصوت ومنكسرة الظهر متورمة القدمين"²⁵، ليكون منزلها بذلك مصدرا للراحة.

أما في قصة عاجل جدا فبالرغم من سخط نور الدين على الفقر المدقع الذي كان يعيشه في بيته مع عائلته، فأحيانا كان "يقوم غاضبا من على المائدة مستقبلا باب الدار الخارجي يغلقه بقوة حتى أن بعض الشقوق إرتسمت على جدران البيت"²⁶، إلا أن حياته هناك كانت أحسن بكثير من الطريق الذي إتبعه بعيدا عن عائلته والذي تخلى بسببه عن الحزن الذي كان يحتويه وعن رجولته ومبادئه، وفي قصة "أصالة عن السيد عنعنة" أظهرت الكاتبة جماليات المكان من خلال الخريطة الرسمية التي قدمتها لمنزل منير، وجعلت أدواتها الكلمات، "فمنير بعد عودته خائبا من لقاءه مع حافظ الأختام حط الرحال في بيته في أقصى البلاد في أقصى المدينة في أقصى القرية"²⁷.

ترسم لنا الساردة في قصة "سوف نلتقط صورة" صورة جميلة لبيت فاطمة تجعل القارئ البيت العارم بالدفء والسعادة، فبالرغم من تواضعه إلا أنه "كان دافئ للغاية فكانت رائحته زكية، حين تختلط رائحة الخبز الشهى الذي تعده والدتها مع رائحة البصل المقلي مع الطماطم والبيض أكلتهم الأثيرة والمكررة"²⁸، أما في قصة "النهايات متشابهة" فقد وصفت لنا الكاتبة بيت السيدة بتول بأنه بيت حقير متواجد في إحدى القرى النائية²⁹، لكنه كان يمثل بالنسبة إليها عشا للسعادة والذي فقدته بمجرد رحيلها إلى الفيلا الفخمة.

2.6. معرض الكتاب الدولي:

قدمت الكاتبة وصفا متخيلا لشكل المعرض من الداخل والأشياء الموجودة فيه، فوصفت في البداية شكل الطاولة التي كان يضع فوقها أحمد نسخ الكتاب الذي ألفه وهذا ما يظهره قول أحمد "من كان يظن أنني سأجلس على هذه الطاولة المستديرة الصغيرة أمامي عشرات النسخ لأول مولود لي في ميدان الكتابة والتأليف أنتظر المعجبين وعشاق الكتب والعلم لأخط على الصفحة الأولى أجمل عبارات الإهداء والإمتنان ثم ألتقط معهم بعض الصور التذكارية"³⁰، كما أن المعرض كان مقسم من الداخل إلى عدد من الأجنحة وكل جناح يحمل رقما معيناً خاصاً بكتاب معين منهم "سيصل الكاتب الكبير (م ن) صاحب رواية "عودة دراكولا" بعد دقائق التوقيع في الجناح (5)، أما سيدة الطبخ السيدة (ك ب) صاحبة كتاب "كل بقلاوة تزداد حلاوة" فستوقع في الجناح (7)"³¹.

4.6. فلسطين وبيت المقدس:

تعد القضية الفلسطينية من القضايا التي شغلت إهتمام العديد من الأدباء والدارسين وأسالت حبرهم، لأنها لم تبقى مجرد قضية أمة عربية فقط بل أصبحت قضية عالمية، وقد حاولت الكاتبة آمنة بن منصور التعبير عن هذه القضية في قصة "السجادة الحمراء" من خلال حديثها عن الحاج تيسير الذي عانى من مرارة فقد أولاده ونفيه في المنفى بالبلد الأجنبي فوصفت فلسطين "بفلسطين الأبية" ووصفت القدس أيضاً بمدينة السلام من خلال توظيفها لأغنية فيروز الخالدة "ياقدس....ياقدس....يامدينة السلام"³²، ووظفت أيضاً رمز أولى القبلتين للدلالة على المسجد الأقصى أو ما يعرف ببيت المقدس.

5.6. مستودع اليتامى:

تصور لنا الكاتبة في قصة سوف نلتقط صورة المستودع الذي نقلت إليه فاطمة بعد موت والديها بسبب إندلاع الحرب الأهلية داخل بلدها بصورة بشعة، تجعل المتلقي يدرك من خلال وصفها بأنه مستودع موحش، حيث أن هذا "المستودع الكبير كان فيما مضى ترى فيه الماشية بأعداد هائلة قبل قيام الحرب ونفوق الحيوانات الذي تسبب في إنتشار المجاعة في القرية فمن لم يمت بالرصاص مات بالجوع كانت الرائحة تزكم الأنوف ليست كرائحة بيتهم"³³.

6.6. أمريكا:

جعلت الكاتبة من أمريكا في قصة "عاجل جداً" وكأنها بلد تحقيق الأمنيات"، ففي هذه البلاد الحصول على وظيفة أمر سهل إذ أنها تعاني من انخفاض وتراجع في عدد سكانها، ولهذا فهي تشجع في الهجرة إليها وتوفر مقابل ذلك كل الظروف التي تساعد المهاجرين على التكاث والتناسل والإندماج في هذا البلد، ليصبحوا بعد أعوام مواطنين مخلصين مهجنين لا يعرفون على وجه اليقين لأي بلد يميلون"³⁴، وواصلت مدحها للبلد الأمريكي وذكر مزاياه من خلال قصة "أصالة عن السيد عنعنة" التي صورت فيها قيمة البحث العلمي والباحثين داخل البلد الأمريكي، والذي أطلقت عليه اسم بلد العم سام "فمنير بعد سنتين من حصوله على شهادة التخرج تكللت جهوده بإختراع جهاز حساس فاز على إثره ببراءة الإختراع في المسابقة الدولية، التي نظمتها إحدى أرقى الجامعات

الأمريكية، حيث توج بالجائزة الأولى عالمياً متفوقاً على ألف مشارك من كل دول العالم³⁵، على عكس بلده التي لم تحظى الجهود التي قدمها ولو حتى بتكريم صغير يحس من خلاله بقيمة عبقريته.

7.6. كوكب المريخ:

استمدت الكاتبة بقعة كوكب المريخ في قصة ثاني أوكسيد كورونا من مخيلتها، فبعد إصابة معظم سكان العالم بالفيروس القاتل المعروف بفيروس كورونا، عرض السيد روبنسون رئيس فرقة الطوارئ التي تأسست بعد أزمة كورونا على طارق فكرة إقناع الناس المصابين بأن "يجمعوا حقائبهم ليرحلوا إلى المريخ فهناك يتشبع الجو بثاني أوكسيد الكربون الذي أثبت نجاعته في القضاء على كوفيد19"³⁶، وكما هو معروف فإن كوكب المريخ هو كوكب غير صالح للحياة، لأن سطح المريخ يشكل فيه ثاني أوكسيد الكربون نسبة من الهواء، لذلك فإنه لا يمكن المكوث فيه دون إرتداء بدلة فضاء تزود بالأكسجين.

وكان الكاتبة حاولت من خلال توظيفها لهذا المكان أن تجعل طلب السيد روبنسون من السيد طارق قتل المرضى المصابين بفيروس كورونا عبر منع تزويدهم بالأكسجين، يكون عبر لوحة من الكلمات الكاريكاتيرية الساخرة.

7. تخيل الزمان:

تقوم معظم الأجناس الأدبية الجديدة والحديثة على مفارقة إبداعية توازن بين حركتين زمنييتين أولهما إسترجاعية والثانية إستباقية، بفضلهما يمنح للخطاب القصصي ميزة جمالية تجعله منفرداً عن غيره من الخطابات السردية الأخرى، فالمفارقة الزمنية تقوم على تكسير خط التسلسل الزمني عن طريق توظيف حركتي الإستباق والإسترجاع، من أجل الكشف عن التغيرات التي تطرأ على شخصيات القصة العربية من خلال تفاعلها مع القيم الجمالية³⁷.

عتمدت الكاتبة في بعض قصص المجموعة على تقنية الإستباق والإسترجاع معا، حيث جاءت حركة إستباق الزمن داخل القصص لإستشراق مصير الشخصيات الرئيسية، ولعل فواتح القصص توضح ذلك بشكل كبير.

ففي قصة تهانينا مهدت الكاتبة من خلال حديث أحمد مع نفسه عن تفاصيل القصة وأحداثها بطريقة مبهمّة غير مباشرة وهذا ما يظهر من خلال قولها "المؤمن كيس فطن لا يلدغ من الجحر مرتين، سبق وصدقته ذات مرة وكدت أدفع ثمن سداجتي حريتي"³⁸، لتعود بعدها وتفك شيفرة غموض القصة عبر إسترجاع أحمد لذكرياته الماضية، عندما إشتري الحاسوب وكان يتلقى فيه إيميلات ورسائل كاذبة كادت أن تودي بحياته.

أما في قصة ليلاه فتتحدث الكاتبة في البداية عن تحول حنان إلى كاتبة معروفة، لتعود بعدها وتسترجع ذكريات طفولتها في المدرسة عندما كانت تلميذة متفوقة، وفي قصة بيع بالإهداء يظهر الإستباق من خلال حديث ماجد مع نفسه حول تأليفه لكتابه وتحقيقه لحلم طفولته، "مد ذراعيه إلى الخلف فرقع أصابعه واستنشق نفساً طويلاً، ثم قال من كان يظن أني سأجلس على هذه الطاولة المستديرة الصغيرة أمامي عشرات النسخ لأول

مولود لي في ميدان الكتابة والتأليف³⁹، ثم عاد ليسترجع بعدها ذكريات طفولته التي تعلم فيها شغفه وحبه للقراءة والتأليف من والدته، والتي كان يرافقها إلى معرض الكتاب الدولي عندما كان صغيراً.

تحدث قصة السجادة الحمراء في البداية عن نجاح دينا ووصولها إلى أحلامها التي كانت تسعى للوصول إليها، "طردت دينا الذكريات التي أورتتها ثقلاً في صدرها وانطلقت كالفراشة مشت على السجادة الحمراء أخيراً ترافق أحد الممثلين المشهورين الأضواء عدسات الكاميرا الصحفيون"⁴⁰، ثم عادت بعدها لتتذكر خداعها لوالديها وتركها لهما وحيدين حزينين على فراقها .

قامت الكاتبة في بداية قصة سوف نلتقط صورة بوصف حياة فاطمة داخل المستودع الذي أصبحت تعيش فيه "في مستودع موحش وعلى أرضية باردة كانت فاطمة تنام متلحفة بنصف غطاء لا يكاد يقيها برد الأرضية التي تفتريشها، وبالقرب منها كانت تسمع شخير ريتا ومامادو"⁴¹، ثم عادت بعدها لتتذكر الحرب التي كانت السبب في وفاة والديها.

يكنم الإستباق في قصة النهايات متشابهة، في وصف الحالة التي أصبحت عليها حياة بعد أن صارت غنية "نظرت إل المرأة غرست عينيها الحادثتين فيها بكل عجب ثم سرحت شعرها كاشفة عن إبتسامة الرضى مدت يدها نحو صندوق المجوهرات وأخرجت عقداً من اللؤلؤ رفعتة قليلاً، وبدأت تتأمل بريقه انتبهت إلى أناملها الناعمة وأظافرها المرتبة"⁴²، ثم عادت مرة أخرى لتذكر الماضي البائس الفقير الذي كانت تعيشه من قبل.

أبدى الدكتور مازن في قصة أجمل ابتسامة إعجابه في الأول ببشرى وبابتسامتها البراقة "آه يا أمي لو ترين ابتسامتها لا يكاد يغمض لي جفن وأنا أفكر فيها، أدفع نصف عمري بل كل عمري لأحظى بتلك الابتسامة"⁴³، ثم عاد ليسترجع أحداث اللحظة الأولى التي تقابل فيها معها وإعجابه الشديد بها .

نجد أن الكاتبة قد اعتمدت في بعض القصص على تقنية الإسترجاع فقط، كقصة تفاحة آدم التي عرضت فيها قصة أبونا آدم وأمنا حواء وربطتها بأحداث القصة بطريقة تخيلية، من خلال قولها "قديماً ومنذ آلاف السنين ولما خلق الله تعالى أبونا ادم وأمنا حواء أمرهما الله ألا يقربا الشجرة المحرمة، فأغوت أمنا حواء أبانا آدم وأغرته حتى أكل منها وعصى الله وطرد من الجنة والنتيجة ياولدي هذه التفاحة، التي تعيق مرور الطعام إلى معدتي المسكينة"⁴⁴.

8. خاتمة:

- عاجلت مجموعة "من يشتري التراب" لآمنة بن منصور العديد من المشاكل والأزمات الأخلاقية والنفسية والإجتماعية التي تعيشها المجتمعات العربية، من خلال الإعتماد على التّخيل كوسيلة لذلك.
- نقلت الكاتبة واقع مجتمعات العربية المعاش في مجموعتها "من يشتري التراب"، في لوحات كاريكاتيرية ساخرة من الواقع.

- كان لإختيار شخصيات المجموعة القصصية وطريقة عرضها، دور كبير في إضفاء مسحة جمالية على القصص، فالقارئ سيحس بعد مدة قصيرة من القراءة، وكأن هذه الشخصيات هي شخصيات مألوفة بالنسبة إليه، لأنه سيرسم في ذهنه صورة لكل شخصية بدقة متناهية، من خلال الأوصاف التي قدمتها الكاتبة لها أثناء سردها للأحداث.
- إعتمدت آمنة بن منصور في مجموعتها القصصية "من يشتري التراب" معاصرة، على المفارقات والتشبيهات في وصفها للفضاء المكاني والزمني التشبيهات، وهذا ما جعل وصف الفضاء يكون وصفاً متخيلاً.

9. الهوامش

- 1- آمنة بن منصور، من يشتري التراب، دار تشكيل للنشر والتوزيع، الرياض، ط2022، 1م، ص09.
- 2- محمد الديهاجي، الخيال وشعريات المتخيل " بين الوعي الآخر والشعرية العربية"، منشورات متحترف الكتابة، المكتب المركزي بفاس، مطبعة وراقه بلال، المغرب، ط2014، 1م، ص18.
- 3- يوسف الإدريسي، التخيل والشعر "حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية، منشورات ضفاف، منشورات الإختلاف، بيروت، 2012م، ص194.
- 4- محمد الديهاجي، شعريات المتخيل، مرجع سابق، ص26.
- حازم القارطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1992، 3م، ص89.
- 6- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص388.
- 7- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص13.
- 8- عبد الغني بن الشيخ، التخيل الروائي وخذع التمويه السرد، مجلة الآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، ع2009، 10، ص152.
- 9- عبد الغني بن الشيخ، نفس المرجع، ص152.
- 10- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص09.
- 11- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص14.
- 12- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص24.
- 13- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص25.
- 14- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص35.
- 15- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص40.
- 16- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص48-49.
- 17- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص57.
- 18- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص78.
- 19- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص83.
- 20- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص83-84.

- 21- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 87.
- 22- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 94.
- 23- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 98.
- 24- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 17.
- 25- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 21.
- 26- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 43.
- 27- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 68.
- 28- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 72.
- 29- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 87.
- 30- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 36.
- 31- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 42.
- 32- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 53.
- 33- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 72.
- 34- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 43-44.
- 35- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 64.
- 36- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 99.
- 37- علياء الدايدة، الوعي الجمالي في السرد القصصي، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا: 2012م، ص 268.
- 38- آمنة بن منصور، المصدر السابق، ص 11.
- 39- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 36.
- 40- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 57.
- 41- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 70.
- 42- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 87.
- 43- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 93.
- 44- آمنة بن منصور، نفس المصدر، ص 78.

📌 قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد الديهاجي، الخيال وشعريات المتخيل " بين الوعي الآخروالشعرية العربية"، منشورات متحترف الكتابة، المكتب المركزي بفاس، مطبعة وراق بلال، المغرب، ط1، 2014م.
2. يوسف الإدريسي، التخيل والشعر "حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية، منشورات ضفاف، منشورات الإختلاف، بيروت، 2012م.

3. حازم القارطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1992م.
4. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.
5. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.
6. آمنة بن منصور، من يشتري التراب، ط1، دار تشكيل للنشر والتوزيع، رياض: 2022م.
7. علياء الدايدة، الوعي الجمالي في السرد القصصي، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا: 2012م.